مدخل للأدب

بين الأنثروبولوجيا والميثولوجيا

للدكتور أحمد كمال زكي

لست أدرى الى أى حد نحن بحاجة الى واحد كجورج فنلاى يتحمس وهو يكتب التاريخ ، ولكن بدلا من أن يتعصب لليونان الى حد الانتقال الى بلادهم كى يساعدهم على الأتراك فى حروب الاستقلال ، يعيد النظر فى الموروثات العربية بطريقة تنقله من حاضرهم الى الماضى الموغل فى القدم ، على أساس الاعتراف بمأثورات سلالة سامية لم يقدرها المؤرخون حق قدرها .

ويكون على المؤرخ ــ الذى أرجو أن يستفيد بالأنثروبولوجيا ــ أن يعترف بأن الاستعباد الأجنبى لمناطق تلك السلالة لم يقض على موادبها .. لا هو ، ولا تغلب الاسبان عليهم بعد قرون من الازدهار ، ولئن حاول الصليبيون مرات أن يقرءوا المرويات العربية من اليسار الى اليمين كى لا يتفهموا ما تقصه بدقة ــ والقصة توحى بأفكار قد يمكن فهمها منفصلة عن مقاصد الفنان ــ فقد اضطرتهم نتائج المعارك الأخيرة الى الاعتراف بأن للآثار العربية التى تدثرت بالاسلام جمالا يسهل تصوره منفصلا عن كل أسباب الموضوع .

وفى الحالين كان التقصير فى التقويم أوضح من أن يشار اليه ، وذلك لأن النظرة لم تجاوز السطوح ، ومع أن وراء هذه السطوح فلسفة أمة قضى لها أن تصبح معلمة العالم بعد رحلة تسودتها قوى باطشة باغية ، وتصارع خلالها الفرس والروم على أيهما أولى بالبقاء .

ولقد حاول جورجى زيدان أن يكون ــ على نحو ما ــ جورج فنلاى ، غير أن ما جمعه فى مؤلفاته التى صدرها بقوله انه « لم يكن عند عرب الجاهلية تاريخ من قبيل ما نفهمه من هذه الكلمة اليوم » قعد به عن تحقيق أمور وصل

اليها للأسف الشديد بعض من أنصف من المستشرقين . وكان لتردده فى قبول الخرافات المنظومة والمنثورة من ناحية وضآلة ما انتهى اليه من نقوش قديمة من ناحيـة أخرى أكبر الأثر فى قعوده ، حتى انه لمـا رأى ضعف نتـائجه التى رصـدها فى مثـل كتابه « العرب قبل الاسلام » لم يجد بدا من تدعيمها بأشياء من التوراة وكتب العبرانيين والسريانيين .

ومع ذلك فقد كان من أوائل الذين نبهوا الى حضارة جاهلية تعرف لعـاد وثمود ولعمالقة العراق ومصر ، كما تعرف لتبابعة اليمن الذين كتبوا أسطوريا جزءا وضيئا من تاريخ العرب القـديم . ويشبه موقفه فى هذا موقف جواد على ، مع وجـود فارق بين من يجمع ليغير مفهوما شـاع خطؤه ومن يؤلف لتدعيم ما لم يعـد أحد يمارى فى صحته .

ويظل لجواد على فضل التمكين للتراث الجاهلى ، شاجبا الصورة التقليدية عن العربى الأول . لأنه لم يكن همجيا ولا كان عاطلا من التفكير ، ولم تكن أيامه حروبا ، ولا كان الجمل عـدته الأولى والأخيرة .

كان انسانا مثقفا كما كان انسانا له تاريخه البعيد ...

وبالرغم من أن الأنثروبولوجيين لم يجدوا له ـ حتى الآن ـ كهفا ككهوف « ألتاميرا » و « لاسكو » و « كومبارل » وبعضها يرجع برسومه الى عشرين ألف سنة ، فان محصولات الحيوانية animism والطوطمية totemism وما فيها من اشـارات عن « التـابو » يمكن أن توحى بتـاريخ معقد لحيـاة العرب الدينية ، والحياة الدينية بوجه عام هى "أم" الفن بلا نزاع .

أنا لا أدعو دعوة جاهلية ـ فانى أعلم أن ثمة من ينكرها على أسـاس أن الاسلام عطّل أسبابها منذ أربعـة عشر قرنا ـ وانما أريد ألا يوجد بيننـا مثل هرزن الأديب الروسى المعروف ، فقد قال هذا وهو يرى اهتمام قومه ببعث الرومانية : دعواها ولا ترفعوا غطاء التابوت عن جثة لكى يرعاها القساوسة والخصيان !

فقد كان هرزن يؤمن بأن موسكو لا تمت الى بيزنطة بسبب .. وأما نحن فلماضينا فى دمنا ألف مَسرب ، والقاهرة كبغداد ، ودمشق بينها وبين مكة وصنعاء علاقات قربى ونسب .

ومع ذلك لمـاذا — ونحن نؤرخ — نفصل العرب فى جزيرتهم أو فى شبه جزيرتهم عن الفرس والهنود والاغريق وقدماء المصريين ؟

أفنظن أن هؤلاء كانوا همجا فى وقت كان لغيرهم فيه كل شىء ؟ ان كاتبا كالعقاد يمكن أن يعتمد بعض الأجـانب ليقرر أن الثقـافة العربيـة أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، ، الا أن هذا لا يكفى لتوجيه الاهتمام بأشكال الحياة العربية المندثرة . فلا يزال فى كلامه من الخطابية ما يضعف حجته ، ونحتاج عند مراجعته الى أن نخنق ذلك الصوت الذى طالما ارتفع من بين اللاهوتيين التقليديين . اذن نسـتطيع ملاحظة التطور الذى طرأ على الفكر السامى فى شبه الجزيرة ، كما نستطيع معرفة طبيعة الشعائر الدينية فنحللها فى ضوء الظروف الاجتماعية التى نشأت فيها ، ويكون لدينا فى نهاية الأمر جماع ما يمكن تسميـته بالأنثروبولوجيا العربية ، ويستعان فيها بكتابات أمثال جيمس فريزر صاحب كتاب « دين الساميين » وادوارد تيلور صاحب كتاب « الثقافة البدائية » .

والحقيقة أن الأنثروبولوجيا أصبحت من أهم الأدوات الحضارية المعاصرة ؛ فعن طريقها يمكن اقتحام ما عجز التاريخ عن اقتحامه ، وبالاستعانة بالميثولوجيا وتطبيق نظرية اعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة التى لا توجد عنها الا شواهد متفرقة ، يسهل معرفة الكثير عما كان الى عهد قريب ضربا من الغيب أو الحدس .

وفى ضوء ما عرف من أن جنوب الجزيرة العربية كان مأهولا قبـل ثلاثة آلاف — وكانت له منشئاته المعمارية التى لا تقام الا على مدى قرون أقدم — يمكن معرفة دور « اليحمور » أو الحمار الوحشى فى بنـاء حضارة العبريين منذ كانوا قبيلة بدوية صغيرة قرب عمان والى أن رحلوا الى جنـوب وادى النهرين[١] .

ولقد دل استخدام العبريين لليحمور — منذ أربعين قرنا — على كثير من المشكلات وبخاصة بعد أن استقروا فى بيئتهم الجديدة شمالى الجزيرة حيث انطووا على أنفسهم مصابين بمرض التحجر ، وكان من آثار هذا المرض الشعور

---

(١) Leonard Cottrel, The anvil of civilisation, Faber & Faber, London, pp. 122 — 124.

بالنقص ومحاولة التغلب عليه بالسطو على موروثات الغير ! وتمكن فريزر فى كتابه « الفولكلور فى العهد القديم » من استغلال الانثروبولوجيا فى تقويم تصور اليهود للرب والأنبياء على نحو لم يختلف كثيرا عن تصور الوثنيين فى جنوب الجزيرة حيث تشيع الكهانة وتمارس طقوس السحر بدأب ، ومن ناحية أخرى دعموا آراءهم بما سلبوه من البابليين والكنعانيين الذين أثر عنهم ادمان الوصف للمظهر الشعائرى للحياة . وقد كانت عملية تحليل المعتقدات التوراتية رحلة استكشاف للخرافة التى برع فيها العرب ، أكثر مما كانت اعترافا بما سماه بالعبقرية العبرية ؛ واذن يكون علينا أن نبدأ بما رُفض أن يُبْدأ به عند الطبرى والمسعودى وابن خلدون .

وعندما أقول ذلك لا أعنى أن يحسب ما يجمع عند هؤلاء على أنه من الأساطير حساب التاريخ — فاذا لم يستقم مع منطقه رفض — ولكنى أعنى أن يظل من التراث الذى اذا ضاع ضاعت معه أبرع مقدمات التاريخ .

وأكثر من هذا فان ما قد يبدو فى هذه المقدمات معارضا للعرف ويشيد بالكهانة أو بالسحر — وكلاهما من محاور الدراسات الأنثروبولوجية — فانما هو جزء أريد أن يبتر عنا ؛ ورحم الله منسرى كتاب الله منذ قصدوا للتفسير ؛ فقد جنح بهم حبهم للاسلام الى الميل عن « وثنيات » الجاهلية ظانين أن فى صنيعهم هذا رفعا لكلمة الله ، وما كان فى القرآن قط الا بيان رصين لحياة اجتماعية متطورة .

ولم يشذ خلفاء هؤلاء عن هذا الاتجاه العام ، فكانت كتاباتهم — وبخاصة ما يتصل بالقصص القرآنى — عملية طمس لما أراد اليهود جلاءه ، ويصف كل ما جاء فى تراثنا عن العرب الأول بأنه من الاسرائيليات على سبيل التهوين مع أنه فى الحق من البابليات[٢] أو من عربيات تدمر ويثرب وعمان بكل فخر وتقدير .

---

(٢) يجب أن نعترف بأن السومريين الذين عاصروا الاكاديين كانوا هم واضعى أصول ما يعرف بالبابليات الحضارية ، والسومريون عناصر ايرانية — فى الغالب — امتزجت بعناصر سامية ربما كان بعضها من اكاد أو اجادة (فى الشمال) وقد بناها سرجون الأول الذى حكم بين ٢٥٨٤ — ٢٥٣٠ قبل الميلاد وسميت اسرته الحاكمة بالأسرة الأكادية . وكان حفيده الملك نارام سين أى « محبوب سين » وسين هو اله القمر وتحمل شبه جزيرة سيناء اسمه ، وقد عرف بحروبه مع الأراميين .

ولكن ماذا نريد بكل هذا ؟

لا شيء أكثر من اقرار الحق ورده الى أصحابه .. فقد كان ثمة عرب متحضرون ينتمون الى ارم بن سام بن نوح ، وكان لهم فى العمالقة عمومة أصلها لاوذ بن سام بن نوح . والى هذا ذهب ابن خلدون فى مقدمته ونوه به جرجى زيدان بعد أن رآه يوافق ما اكتشفه العلماء من نقوش فى بابل وأشور وما قرأه فى كتب الكلاسيكيين كهيرودت وسترابو [٣] .

العمالقة عند البابليين « ماليق » أو « مالوق » وأضاف اليهود اليها « عم » بمعنى الأمة أو الشعب فصارت « عم ماليق » أى شعب ماليق ونطقها العرب « عماليق » و « عمالقة »[٤] . وكانوا يسكنون شمالى جزيرة العرب حتى جنوبى فلسطين ، فى حين سكن أولاد ارم — وهم الأرمان عند حمزة الأصفهانى — فى الجنوب ، وكان منهم عاد وثمود وجرهم الأول . وهو غير جرهم الآخر الذى جاء بعد لاوذ بجيلين ، وأنجب جرهم القحطانية أو جرهم الثانية .

كان ذلك منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، ونحن نعلم أن مؤرخى العرب ينسبون شعوب العرب البائدة الى « ارم » . ويقررون أنهم هاجروا الى وادى النهرين فى تاريخ مجهول ، وأسسوا حضارة بابل قبل أن يهاجر العبريون من حول عمان الجنوبية . وكان قبل بابل ، العمالقة الذين سماهم بيروسوس الكاهن الكلدانى بالكلدان تارة والعرب تارة أخرى ، وعنده أن دولة الكلدان انتهت بقيام دولة الأشوريين التى خلفت بابل فى المنطقة المعروفة بأرض سومر وأكاد .

على أن حفريات الأركيولوجيين تدل على أن تلك المنطقة كانت مستوطنة منذ أربعة آلاف سنة من قبل السومريين الذين عرفوا الكتابة المسمارية ، ولما اجتاحهم عرب الشام امتصوا ثقافاتهم وأخذوا بأسباب حضارتهم واقتبسوا حروفهم ذات رؤوس السهام .

---

(٣) جرجى زيدان : العرب قبل الاسلام ٥١ ، ٥٢ ط . دار الهلال بتعليق حسين مؤنس .

(٤) فى سفر التكوين ان بنى سام هم عيلام واشور وارفكشاد ولود وآرام ، ولعابر الذى يذكر العبريون انه ابوهم ولد اسمه يقطان انجب حضرموت ، الاصحاح العاشر ٢١ — ٢٧ .

ويطلق المؤرخون على هؤلاء العرب اسم آمورو أى العموريين ، وذكروا أن هجرتين لهم وقعتـا على مرحلتين ، وكان من جراء الثـانية تأسيس السلالة العمورية الأولى فى بابل حيث يحكم حمورابى المشهور فى حدود اثنين وعشرين قرنا قبل الميلاد ، وبعد خمسة قرون تأسست حول نينوى امبراطورية أشور ، ولم يكن ثمة شىء — حتى هذا التاريخ — اسمه دولة اسرائيل !

ويحدد صاحب كتاب « الأبجدية مفتاح تاريخ الانسان » ثلاث هجرات سامية من شرقى الجزيرة العربية . ويذكر عن الثالثة أنها آرامية وأشير اليها فى المسمارية ثم فى التوراة ، وعد نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد — وقد دالت دولة الحيثيين — ظهرت امارات آرامية صغيرة فى الشمالين الشرقى والغربى لوادى النهرين .

ولمـا آنس العبريون من أنفسـهم قوة بعد أن عبروا الى وادى النهرين ثم تسللوا الى الشـام (١٣٠٠ — ١٢٠٠ ق.م) خافوا الدخـول فى صراع مع الآراميين والكنعانيين . . بل لقد ظلوا على عـادة التمسح بالقوى الذى يجـاورونه ؛ ففى سفر التكوين أن ابراهيم الخليل (١٨٠٠ — ١٧٥٠ ق.م تقريبا) قال لرسوله الى بنوئيل ملكة الآرامى خاطبا ابنته رفقة « الى أرضى وعشيرتى تذهب وتأخذ زوجة لابنى اسحاق »[٥] . وفى موضع آخر نقرأ من كلام اشعياء وهو يتنبأ بغلبة قوته على المصريين « فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان »[٦] .

فاليهود أيام ابراهيم آرميون ، وهم أيام اشعيا كنعانيون ، وعندما انتصر المصريون بقيـادة تحوتمس الثـالث فى معركة قـادش سنة ١٢٨٥ قبل الميلاد خلعوا جلودهم[٧] ، حتى اذا كان عهد القضـاة مع القرن الحادى عشر قبل الميلاد تبجحوا بجلد اسرائيل وتاهوا بخوارق سليمان بن داود (٩٧٠ — ٩٣٣ ق.م) .

ووصولنا الى هذه النقطة حيث يحتكر اليهود نعمة الوحدانية — مع ما فيها عندهم من أحجية وطلاسم — نجد المناسبة لنقول ان التراث العربى الذى نبحث

---

(٥) الاصحاح الرابع والعشرين ، آية ٤

(٦) اشعياء ١٩ آية ١٨

(٧) The Anvil of Civilisation, p. 133.

عن تقويمه بالأنثروبولوجيا موجود فى التوراة كما هو موجود فى قصص البابليين ــ ملحمة جلجاميش مثلا ــ وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس .

لقد قال العقاد بحماسته المعهودة « كان أكثر ما أخذوه منقولا عن قبائل العربية الكبرى بين اليمن فى الجنوب وقبائل الآراميين والكنعانيين فى الشمال » فأشار بقوله هذا الى الطقوسيات المختلفة ونبوءات السحر والكهانة والتنجيم ، وكذلك الى الرئى أى رجل الله الذى يرى ، ومن قبيله عندهم ملكة صادق وأيوب وبلعام وبثرون أو شعيب معلم موسى عليه السلام ، وكل هؤلاء عرب علموا اليهود ألا يخلطوا بين مطالب السحر والشعر ومطالب الهداية الحقة !

فان كان لهؤلاء أو لغيرهم ممن جاوروا اقليمنا العربى حضارة فيها ما يتصل بقيمة الانسان البدائى ــ على أساس أنه المنطلق الطبيعى نحو فهم الحضارة الانسانية فى عمومها ــ فلابد بالتبعية وبحكم الاتصال أن يكون للعرب دورهم البنائى . وتصبح القضية فى رأيى لا قضية اثبات أحقية العرب فى بناء الشرق الأوسط القديم ، وانما قضية البحث عن أسباب سكوت الدارسين عن العناصر البشرية التى كانت تلفظها دائما جزيرة العرب طوال عصور وعصور .

اننا لا نناقش هنا مظاهر التفاوت بين العرب وغيرهم ممن عاصروهم ، وانما نطرح قضية الماضى العربى بأبعاده الخرافية والاسطورية لنقول انه هو التراث الذى أعطى للانسانية الكثير . ومع ذلك فان الدارسين ــ الذين حسنت نياتهم بعد أن رأوا واحدا كصامويل هوك S. Hooke ، يؤكد علاقة نواميس موسى بشريعة حورابى ــ لا يزالون حتى اليوم يحاولون أن يسألوا ماذا عند هؤلاء الذين حملوا راية الاسلام ؟

ولربما عمد بعضهم ــ فى مضمار تحديد مراحل التطور ــ الى الاستنباط عن طريق المخلفات الثقافية cultural survivals ، وهى فى الأنثروبولوجيا المأثورات أو الرواسب التى تخلفت فى سيرها عن ركب التطور ــ بأمر شيوخ الدين ــ فأصبحت من ثم غريبة ، وتصل فى غرابتها حدا مذهلا اذا أخذت بمقاييس الاسلام ، والمعروف أن هذه تقف من الخرافات وأساطير الأولين موقف المستنكر ، وكثير من فرق المتكلمين ــ وبخاصة المعتزلة ــ يسخر من رواتها

حتى لقد جرؤ الجاحظ وهو من هو على أن يقول فى أحد أجزاء حيوانه : نعوذ بالله من الهذر والتكلف !

على أن هذا الهذر الذى لم يعجب الجاحظ كأحد رجال الاعتزال كان هو نفسه مما أثار العلامة W. De Burgh فى كتابه العظيم The Legacy of the Ancient World ان ساميى اليمن والحبشة فى الجنوب وساميى كنعان فى الوسط ثم ساميى سوريا وبابل وأشور فى الشمال وهم الآراميون ، كانوا أولاد بيت عربى واحد وروابطهم تبدو أشبه بروابط التيوتون فى أوروبا القرون المتوسطة وأوروبا الحديثة » .

ويمضى دى بورج فيقول انه اذا كان العبريون من ساكنى كنعان ـ يقصد أرضهم ـ وجاوروا الفينيقيين الساميين الذين استوطنوا ساحل البحر المتوسط منذ الألف الثالثة على الأقل ، فليس من شك فى أن الاسرائيليين منهم كانوا دائما عالة على أولاء وأولئك ، حتى اذا جاء داود وسليمان ـ وهما أعظم ملوك اليهود ـ عقدا تحالفا مع حيرام أمير صور الفينيقية ، وكانت هذه هى وصيدا مركزى اشعاع عربى على مدن العالم الهلينى ، وعرصا فى الوقت نفسه على المضى فى تمثل ثقافة السكان الأصليين تحت التأثير الكنعانى المؤكد .

وبموت سليمان حوالى سنة ٩٣٣ قبل الميلاد بعد ايقاع شيشنق المصرى به انقسم الاسرائيليون بزعامة سبط افرايم الى شماليين وجنوبيين ، وقامت المملكة الشمالية فى عهد بيت عمرى ـ كما تخبر ألواح أشور ـ بجمع التراث السامى واستغلاله فى اذاعة حضارة متميزة . الا أن هذه لم تستطع أن تبقى أمام سرجون الأشورى فقضى عليها ، فبقيت الجنوبية الى أن كتب نهايتها بختنصر البابلى سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، ووقع ما يعرف فى التاريخ بالأسر العظيم . وأعجب ما فى هذا الأسر أنه لم يستطع أن يلغى « عبارة يهوه الاله القبلى الذى كانت مهمته أن يخوض معارك تمكين السيادة لبنى اسرائيل ... وظل بين كل ما تمثلوه من العبادات الكنعانية كالمرتفعات ودمى عشتار والعمد المقدسة رب الشعب المختار »

وما يعنينا هنا هو أن توزع الخيال العربى فى كتب اليهود أكبر من أن ينكر ، ولئن كان اليهود قد حاولوا طمسه أو تشويهه بذكر حوادث مشينة عن العرب ـ منذ استهلال اليهودية على يد موسى والى أن وصلت الى صورتها

النهائية كدين عالمى على مطالع القرن الأول الميلادى — فالذى لا شك فيه أن ما فيه من روايات عن الخلق والطوفان والكواكب وبعض الميتافيزيقيات يشبه ما يرويه القاصون العرب عن ملوكهم القدماء وأبطالهم الذين قاموا بكل ما لا يستطيعه بشر تحت الشمس ، فلما نظروا رأوا أنه كله باطل وقبض ريح .

وتبين الآراء التى كان يؤثرها اليهود فى بعض المواضع أنها هى نفسها قواعد السلوك الحميدة والحكيمة عند البدوى ، وما يقوله الشاعر طرفة أو السموأل أو الزهير يمكن أن يكون له نظير فى سفر الجامعة أو سفر أيوب . وفى غضون الأسر أصبح الأمل فى الملكوت الاسرائيلى قوة مسيطرة على أساس صورة عربية خالصة ؛ اذ كان أحيانا يضيق بحيث لا يلائم الا أشد الاتجاهات القومية تعصبا ، وأحيانا أخرى يتسع حتى ليحطم كل حاجز يفصل بين العبريين ووثني العرب .

ولسنا نحب أن نمضى الى أبعد من ذلك ، فقد صار من الضرورى اعطاء ما لله لله وما لقيصر لقيصر . وعندما يصبح علينا أن نتحدث عن الحضارات القديمة فلا أحد يستطيع أن يقول : هذا ليس لكم أو هذا لكم ! لأن كل شىء ملك لشعب توزعت عشائره ، ومع ذلك ظلت بين هذه العشائر روابط تشبه روابط التيوتون فى أوروبا العصور الوسطى وأوروبا العصر الحديث .

* * *

ثم ماذا بعد ذلك ؟

لا شىء أكثر من الرجوع الى التراث الجاهلى شعرا كان أو خطابة أو كهانة مسجعة ، وفى الوقت نفسه الاهتمام بتلك المأثورات Relics التى رفض شيوخ الدين عندنا رصدها على أساس أنها من « الكفريات » أو من قبيل الهذر الذى ندد به الجاحظ .

ومن السهل فى هذه الحال أن نبدأ بالسير الشعبية والحكايات الخرافية والأغانى الجماعية والألغاز والبكائيات وكل ما يشكل الجوانب الثقافية من

الفولكلور ويمكن بتحليلها ومعرفة الحبكة فيها أن نرد موتيفاتها الى نماذج يونج المنشئة Jung's archetypes وهذه تعنى الفكرة الابتدائية elementargedanke التى قدمها أدولف باستيان سنة ١٨٦٠ داخل كتابه « الانسان فى التاريخ دليل على عالمية النفس » .

ومن سقط القول أن نعيد هنا أن الأنثروبولوجيين يرون فى هذه الأنماط أبعاد الحضارات القديمة أو — بأقل تواضعا — ضروب العقائد وما يصاحبها من عادات وتقاليد وتطور لغة وتصنيف أساطير . ويرى العلامة باكسوم Bascom أن الأنثروبولوجى يجد فى الأمثال والألغاز والمسجوعات والأساطير وحكايات الخوارق والخرافات مادة أدبية أو فنا قوليا يجسد ضمير الأمة ، ومن ثم يربط الحاضر بالماضى السحيق ويوجد التاريخ الذى يعنى بالمراحل الثقافية الأولى .

وما أحوجنا نحن الى ذلك ، فنعرف بتحليل الحكايات الشعبية — التى هى بقايا حفرية لاعتقادات الماضى البعيد — الأساس الثقافى للعرب القدماء . وهذه المعرفة لا تستبعد قط منهج ماكس مولر M. Muller أو جاستون باري G. Paris الذى يجد فى الحكايات الخرافية موروثات باقية من الأساطير ، كما أنها تعتمد قواعد المدرسة الشعائرية Ritualistic School التى تقر الأصل الطقوسى للحكايات .

على أن هذه الحاجة تحوجنا لتحقيقها الى أن نقرر بادىء ذى بدء أن البحث فى التفكير الجاهلى — كمظهر ثقافى لا يقل خطورة عن المظهر الثقافى للتوراة — يجب أن يقوم أساسه على الأساطير والخرافات وليس على التاريخ ، مع تسليمنا بداهة بأن الخيال كان دائما مفتاحا لأبواب الخرافة ، كما كان البوتقة التى تتولد فيها الأساطير .